الطوائف الحرفية في المجتمع المصري
(إبان عهد محمد علي باشا ١٨٠٥ـ ١٨٤٨) دراسة تاريخية

د. دارا توفيق كاكه أمين
جامعة ڕاپەڕین
فاكلتى العلوم الانسانية
رئيس قسم التاريخ

المقدمة

إن دراسة المجتمع المصرى فى العصر الحديث لايمكن أن تكتمل الا بدراسة الحرفيين والأوضاع والظروف التي عاشوا فيها، ولذا أفرد البحث صفحاته ليكشف من تلك الأوضاع والظروف والعلاقات الداخلية للحرف، وعلاقة الحرفيين بالمجتمع وكيفية سيطرة الحكومات عليهم...الخ.

إن دراسة موضوع طوائف الحرف فى عهد محمد علي تلقى الضوء على جانب هام من جوانب حياة المجتمع المصرى فى ذلك العهد، الذى انقسم فيه المجتمع إلى هيئات طائفية كان منها العلماء والتجار والصناع وجميع الأفراد الذين تضمهم مهنة واحدة أو عمل واحد أو مذهب واحد، كانوا ينظمون أنفسهم فى شكل طائفة لرعاية مصالحهم الذاتية، والنظر فى شؤونهم.

ولقد وضع محمد علي سياسة صناعية متميزة، فظهرت فى عهده الحرف، كما إتبع إسلوباً متميزاً ويتلخص فى اتباع نظام الاحتكار واستخدام طبقة كبيرة من الحرفيين فى الصناعات التى أقامها، مما كان له أثره فى التنظيم الهرمى للحرفيين، والقضاء على بعضهم، وعلى بعض الصناعات البسيطة، حتى أنه أضطر الى العدول عن هذا الاسلوب.

منهج الدراسة: حاولنا فى هذا الدراسة عدم الاعتماد على منهج واحد، للوصول إلى هدف الدراسة، ذلك لأنه يمكن العمل حسب مناهج مختلفة فى شتى المواضيع والبحوث، حسب فحواها ونوع المشكلة وأهدافها، وقد استعينا بتلك المناهج، بغية الوصول إلى الحلول والنتائج المرجوة، لذلك، أستفدنا من المناهج الوصفية والتحليلية والتاريخية.

صعوبات الدراسة: من الطبيعي أن تتعرض أية دراسة أكاديمية إلى صعوبات ومشكلات عديدة في طريقها، لاسيما فى الدراسة عن الطوائف الحرفية فى المجتمع المصرى (عهد محمد علي باشا ١٨٠٥ـ ١٨٤٨)، وأبرز تلك الصعوبات إفتقار المكتبات الكوردية لمثل تلك المواضيع والجوانب الاجتماعية.

هيكلية الدراسة: تتكون هذه الدراسة من مقدمة وخمسة مباحث والنتائج، وتعالج فى مجموعها موضوعاً هاماً يلقى أضواء جديدة على تاريخ مصر والدور الذى قام به فى تاريخ مصر فى إبان عهد محمد علي باشا، وهى مرحلة لم تلق اهتمام الباحثين الكورد من قبل. وكان هذا سبباً رئيساً لاختيار هذا الموضوع لدراستنا هذه. تناول المبحث الأول، نشأة نظام طوائف الحرفية، وفيما عالج المبحث الثاني تنظيمات طوائف الحرف ودورها. أما المبحث

الثالث تناول مراحل تدرج الحرفيين (الهيكل الطائفي)،وتضمن المبحث الرابع مشاركة الطوائف فى المجالات الاجتماعية، والمبحث الأخير خصص لعوامل تدهور الطوائف الحرفية.

أولاً: نشأة نظام الطوائف الحرفية

كان الحرفيون هم أهل الصناعة فى مصر، تركت بصماتها الواضحة على الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والسياسية لتلك البلاد، وكانت الطائفة الحرفية وحدة اقتصادية واجتماعية،أرجعها البعض الى فترة العصر الرومانى، ان لم يكن قبل ذلك بكثير، وقد زاد نمو هذه الطوائف فى العصور الوسطى، لأنها فترة إمتازت بروح التضامن بين الأفراد والهيئات والجماعات المختلفة، وكانت الطوائف موجودة فى العالم الاسلامي قبل تأسيس الإمبراطورية العثمانية، وفى عهدها تطورت "جماعة الفتوة" كما يمثلها أهل الأناضول[١]. وظهرت نتيجة بعض الحركات الثورية فى المجتمع الإسلامي، مثل حركة القرامطة، حيث ظهرت طوائف الحرف كهيئات معارضة للسلطة الحاكمة[٢].

وقد ورثت مصر العمل بنظام الطوائف الحرف منذ نشأته فى العصر الإسلامي وظهر هذا النظام بصورة واضحة فى العهد الأيوبي إذ انتظم أرباب الحرف فى طوائف خاصة بهم، وأستمر هذا النظام حتى مجيئ العثمانيون بل استمر أيضاً فى العصر العثماني وذلك لأن سياسة الدولة العثمانية كانت ترمى إلى الإبقاء على النظم القائمة والابتعاد ما أمكن عن الحكم المباشر.[٣]

وكانت السلطة العثمانية تتدخل كذلك وتفرض نفسها على رجال الحرف وأصحاب الصنايع، وبشكل يقوى من عملية إستغلال الحاكم للمحكوم[٤]،حيث انقسم فيه المجتمع إلى هيئات طائفية كان منها العلماء، والتجار والصناع، وجميع الأفراد الذين تضمهم مهنة واحدة أو عمل واحد أو مذهب واحد، كانوا ينظمون أنفسهم فى شكل طائفة لرعاية مصالحهم الذاتية، والنظر فى شؤونهم، ويطلق على طائفة الحرفية اسم (صنف أو حرفة) ولكن الوثائق تطلق عليها اسم "الطوائف" وهو الاسم الصحيح لاستخدام لفظ الطوائف بالنسبة لتنظيم الحرف ويعني لفظ (طائفة) [٥].

وكانت الصناعة السائدة فى مصر فى هذا العهد هى صناعة يدوية تعتمد على الأسواق المحلية وتقوم أساساً على نظام الحرف والطوائف،[٦] وأهل حرفة تربط بين أفرادها صلات اجتماعية وثيقة، ووحدة اقتصادية متميزة ويسودهم التضامن فى السراء والضراء ويمارسون قدراً من الحرية ولونا من الحكم الذاتي فى نطاق مهنتهم أو حرفتهم [٧].

---

(١) صلاح احمد هريدي، الحرف والصناعات في عهد محمد علي، تقديم: عمر عبد العزيز عمر، دار المعارف، ١٩٨٥،ص١٤.

(٢) نيفين مصطفي حسن، رشيد في العصر العثماني في (دراسة تاريخية وثائقية)، مراجعة وتقديم:محمد محمود السروجي، دار الثقافة العلمية ، ١٩٩٩، ص٢٦٥.

(٣) نفس المصدر، ص٢٦٦.

(٤) جلال يحى، مصر الحديثة (١٥١٧ ـ ١٨٠٥)، منشأة المعارف بالإسكندرية ، بدون سنة الطبع،ص١٨٥ .

(٥) نيفين مصطفي حسن، المصدر السابق، ص٢٦٥.

(٦) جلال يحى، المصدر السابق ، ص٤٩.

(٧) نيفين مصطفي، المصدر السابق، ص٢٦٥.

وقد ضمت الطوائف جميع فئات الشعب بلا استثناء أو تفرقة فكان ينضم إليها المسلمون والمسيحيون واليهود وإليها كانت الرعايا يميلون إلى إظهار ولائهم لشيخ الطائفة أكثر من إظهاره إلى السلطة الحاكمة[٨]، وكانت بعض الطوائف تصنف بحسب عقيدة أفرادها، فكان افراد الحرفة الذين يعتنقون ديانة واحدة يكونون طائفة خاصة بهم، فمثلا صناعة الخمور وتجارتها وبيع العرق كانت قاصرة على اليهود والمسيحين، كما كانت حرفة البزازون قاصرة على المسلمين[٩]، وقد مارس اليهود أنشطة متنوعة مثل أشغال المعادن الثمينة، وأعمال الصرافة التى هى مهنتهم التقلدية، وتميزت كل جالية فى مجال حرف ومهن معينة عن الجاليات الأخرى، أما عن النساء فلم يظهر أثر لهن فى تنظيمات طوائف الحرف، فلم نعثر على ذكر لهن فى الحفلات الطائفية، ولا فى تنظيم الطوائف، ولم نجد لطوائف النساء سوى المواشط والمولدات والغوازى ومرجع ذلك إلى أن المرأة لم تكن لها الحرية الكافية فى ممارسة المهن[١٠].

ونظراً للضرورة العلمية وجب التعرف الى بعض من أهم تلك الحرف التي كانت شائعة في مصر اثناء تلك الفترة المخصصة للبحث، ومازالت بعضاً منها متداولة وموجودة في الوقت الحاضر ولعل أهمها:

- حرفة صيد السمك
- حاملوا المياه (السقاءون)
- الدراويش وحمالوا ماء السبيل
- الحمامات العامة
- الحلاقين
- بائعوا العرقسوس والشربات
- الجزارون
- البناؤون ونحاتو الاحجار
- الحدادون
- النجارون
- الخراطون
- الجواهرجية والصياغ
- الفراءون
- الصرماتية والسروجية
- الخياطون
- صانعوا السلاح
- صانعوا النحاس
- المكارون
- النسيج

(٨) نفين مصطفى حسن، المصدر السابق، ص ٢٦٥

(٩) صلاح هريدى، الحرف والصناعات...، ص ١٨-١٩

(١٠) نيفين مصطفى حسن، المصدر السابق، ص ٢٧٢

- المقاهى
- الخبازون
- الحمارون
- الحصرية
- الادوات المنزلية[١١].

بالاضافة إلى الحرف التى ذكرت، فانه توجد بعض الحرف والمهن الأخرى مثل بائع الخردة (الخردجى) والصباغ والرفا وصانع العقد الحريرية و(العقاد) وصانع الغليون (الشبشكى) والعطار الذى يبيع الشموع وغيرها من أدوات العطارة والدخاخنى وبائع الفواكة (الفكهانى) وبائع الفواكة الجافة (النقلى) وبائع الزيت (الزيات) الذى يبيع الزبد والجبن والعسل وغيرها، والخباز (الفران) الذى يبيع الخبز ويطهى اللحم، وبائع الخضر وكثير من المطابخ والمحلات حيث يطهى ويباع الكباب وغيرها من الاطباق المختلفة.[١٢]

ثانياً: تنظيمات طوائف الحرف ودورها

التنظيم الطائفي كان تنظيماً اجتماعياً واقتصادياً، والطائفة منظمة اجتماعية واقتصادية مستقلة، فقد كان لكل طائفة أو حرفة عادات وتقاليد مورثة[١٣] كما تميزت الطوائف بقوانين تنظيمية خاصة، حددت العلاقة داخليا بين أعضائها، وخارجياً بينهم وبين السلطة الحاكمة [١٤] وكان الهدف من تلك النظم الطائفية التي اتخذها كل طائفة المحافظة على سرية الصناعة أو الحرفة فى نطاق محدود[١٥].وقد كانت الطائفة تخدم عدة أغراض،فهى توفر الوسيلة التى تمكن أقل المواطنين شأنا من التعبير عن غرائزه الاجتماعية والأطمئنان الى مكانته فى النظام الاجتماعي.[١٦]

واذا نظرنا إلى هذا النظام نجد العديد من المزايا نجملها فى دقة الصناعة وارتقاء الفن، فضلا عن أنها توجد روحا من الاخاء والتعاون بين أعضاء المهنة الواحدة، ومنع المنافسة غير الشريفة بين الاعضاء.[١٧]

كانت الطائفة المهنية عنصراً أساسياً فى الحياة المدنية فقد كانت تمثل بالنسبة للسلطات اطارا يمكنها من الإشراف على معظم الشعب العامل بالمدينة من صناع وتجار[١٨]، وكان إشراف الدولة على هذه الحرف يتلخص فى جمع الضرائب منها، دون التدخل فى نواحى الانتاج الفنية.[١٩] ومن وجهة نظر الحكام، فان للطوائف قدرة خاصة

---

(١١) للمزيد من المعلومات انظر: صلاح هريدى، الحرف والصناعات...، ص ٥٠–٧١ ؛ عبد السلام عبد الحليم عامر، الحرف فى مصر ١٨٠٥ – ١٩١٤، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٣، ص ١٤٢–١٥٧؛ اندريه ريمون، فصول التاريخ الاجتماعى للقاهرة العثمانية، ت: زهير الشايب، مكتبة مدبولى،بدون سنة الطبع، ص٨٤–١٦١ .

(١٢) صلاح هريدى، الحرف والصناعات...،ص٨٤ـ٨٥.

(١٣) عبد السلام عبد الحليم عامر، المصدر السابق، ص٢٣.

(١٤) نيفين مصطفي، المصدر السابق، ص٢٦٥.

(١٥)عبد السلام عبد الحليم عامر، المرجع السابق، ص٢٤.

(١٦) هاملتون جب و هارولد بوون، المجتمع الاسلامى والغرب، ت: أحمد عبدالرحيم مصطفى و مصطفى الحسينى،ج٢، ص١١٥.

(١٧) عبدالمنعم فوزى، مذكرات فى تطور مصر الاقتصادى والمالى فى العصر الحديث،مؤسسة المطبوعات الحديثة، الاسكندرية،١٩٦١ ص ٢٣ ؛ صلاح احمد هريدي، الحرف والصناعات...، ص٤٦.

(١٨) صلاح احمد هريدي، الحرف والصناعات...،ص١٥.

(١٩) جلال يحى، المصدر السابق، ص٥٠.

على التأثير فى الحكم، حتى انهم كانوا يرجعون الى المشايخ للضغط على الطوائف، ولذلك كان شيخ كل طائفة يدير شؤنها الداخلية، ويقوم بالتحكيم بين أعضائها، ويحسم المنازعات بينهم ويقيم النظام، ويعاقب المسيئين، وكانت الشكاوى ضد أى عضو فى الطائفة توجه الى الشيخ الذى نادرا ما كان يفشل فى انزال العقوبة بالمعتدي ـ حتى فى طوائف المجرمين، واذا ما ثار أعضاء الطائفة على ادارته لأى سبب من الاسباب أبعدوه عن وظيفته.[٢٠] وكان لكل حرفة طائفة لها شيخها الذي يشرف على أمورها وعلى أفرادها ويدافع عن مصالحهم [٢١] وكان اختياره لمنصبه يعتمد على الانتخابات من الناحية الشكلية، ينتمي بحرية تامة من كل اعضاء الحرفة [٢٢] ولكنه كان فى الواقع وراثيا وينحصر فى أسر معينة، وكانت مسؤوليات الشيخ تنتقل بالوراثة الى أحد ابنائه ماداموا يمارسون نفس الحرفة، اما اذا اتجهوا إلى حرفة أخرى أو مات الشيخ بلا أولاد، فعلى أعضاء الحرفة اختيار شيخ غيره ينتخبونه من بينهم، وفى حالة عدم إمكان الإتفاق بين الرؤساء، كان شيخ المشايخ يعين أحد المرشحين، وكان يعقب الانتخاب احتفال ولتأكيده يحلف الشيخ يميناً[٢٣].

وكانت الحكومة تصادق على تعينه شكليا مقابل ضريبة يدفعه إليها ويختلف مقدراه مع اختلاف الأيام[٢٤]، وقد وجد له أحيانا مساعد هو الجاويش وكان يقوم بدور مندوب الشيخ ومبعوثه، وإن لم يكن له سلطة قانونية[٢٥].

وكما كانت من مهام الشيخ الطائفة أن يعقد اجتماعات أعضاء الحرفة وأن يرأس هذه الاجتماعات ويحافظ على تماسك الهيئة ويعاقب من يرتكبون أعمالاً تضر بالطائفة، ويجد عملاً لأرباب الحرف، ويعين عليهم رؤساء، ويبحث مع السلطات الحاكمة كل المسائل المتعلقة بالحرفة،[٢٦] كما كان له حق توقيع العقوبات على المخالفين من أفراد حرفتة، وبالرغم من سلطته القضائية لم يؤكدها القانون، فانها كانت محترمة من المجتمع، وكانت تلك السلطة تصل إلى الحكم بالسجن أو الغرامة أو اغلاق المحل أو حرمان المذنب من عضوية الحرفة.[٢٧]

وقد اصبحت الحرف كلها خاضعة لادارة (شيخ) أو كبير، وكانت وظيفته انتخابية فى الاسم، ولكنها وراثية فى الواقع فى نطاق أسرة معينة يعاونه جاويش، وكان التنظيم بأسره وراثيا الى حد كبير لدرجة أن بعض الحرف المتخصصة قد اقتصرت على عائلة واحدة، فمثلا كان طلاء الجدران بالالوان المذهبة مقصورا على أسرة واحدة،[٢٨] وبصفة عامة كانت الطوائف رابطة ادارية من تلك الروابط القليلة، التى أتيح لها أن تقوم بين السلطات وبين الرعية وقد ظلت تلعب هذا الدور إلى أن نجحت السلطات المصرية فى نهاية القرن التاسع عشر، أن تنشأ جهازا إداريا قادرا أن تحل محل هذه الطوائف، ومع ذلك الدور الذى لعبته الطوائف الحرفية فى جهاز الادارة العامة، كجهاز

([٢٠]) هاملتون جب وهارولد بوون، المصدر السابق، ص١١٦.

([٢١]) جلال يحى، المصدر السابق،ص ٤٩.

([٢٢]) صلاح أحمد هريدي علي، دراسات في تاريخ مصر الحديث والمعاصر، ١٥١٧–١٨٨٢،مصر، ١٩٩٩، ص١٨٩.

([٢٣]) صلاح احمد هريدي، الصعيد في العصر العثماني (٩٢٣–١٢١٣هـ ، ١٥١٧–١٧٩٨).تقديم: عمر عبدالعزيز، مصر،٢٠٠٦،ص٢٣٢ .

([٢٤]) صالح رمضان، الحياة الاجتماعية فى مصر فى عصر اسماعيل من ١٨٦٣–١٨٧٩، منشأة معارف بالاسكندرية، ١٩٧٧،ص١٩٨.

([٢٥]) نيفين مصطفي، المصدر السابق،ص٢٦٧.

([٢٦]) كمال حامد مغيث، مصر في العصر العثماني في ١٥١٧ – ١٧٩٨ المجتمع والتعليم ، تقديم رؤوف عباس، مركز الدراسات والمعلومات القانونية لحقوق الإنسان،مصر، ١٩٩٧ ، ص٧٧ـ٧٨.

([٢٧]) صلاح هريدي ، الصعيد في العصر...، ص٢٣٢.

([٢٨]) هاملتون جب و هارولد بوون، المصدر السابق، ص١٣٧.

تواصل تلجأ اليه السلطات الحاكمة، لم يكن يخص بطريقة نوعية القاهرة كمجتمع حضرى بل ان هذا الدور قد مضى لأبعد من ذلك، اذا نظرنا للطوائف المهنية من ناحية المظهر الجغرافى فحيث أن معظم الحرف فى القاهرة تتركز فى قطاع محدود من المدينة وينطبق ذلك أيضا على بقية المدن المصرية.[٢٩]

وفى داخل كل طائفة وجدت طوائف متخصصة، ففى داخل طائفة التجار نجد طائفة تجار الزيت وتجار الصابون وتجار المجوهرات "الصاغة" وتجار السلاح وتجار البن والقماش وغيرها من الطوائف. وكان النقباء وهم نواب أو وكلاء المشايخ يحضرون مع الشيخ كل الإجتماعات الرسمية التى تتم فى المحكمة الشرعية والخاصة بتقرير اختصاصات الشيخ أو سلطاته أو الخاصة بوضع سعر خاص للسلع، وكان لشيخ كل طائفة عوائد على أهل طائفته، حيث يلتزم بسداد ما على طائفته من ضرائب وأعباء رسمية وغير رسمية عينية ونقدية لملتزم الجهة التى تتبعها مقاطعته مالياً وله الفرق بين مايجبى وما يدفع على أنه تجب الإشارة إلى أن قاعدة الربح لم تكن هدفاً لهؤلاء الشيوخ كسائر الملتزمين. وتحصل هذه العوائد من أفراد الطائفة كل على حسب قدرته وحجم نشاطه ولكن فى إطار معين متفق عليه بين شيخ كل طائفة وكبارها حين اختياره، ويعتبر خروج الشيخ عنه بالزيادة، مبرراً يستوجب عزله من مشيخته، وذلك نظير تفويض المشايخ فى إدخال ما يريدون إلى الطائفة وما يتفادونه من عوائد من أفراد طوائفهم.[٣٠]

ولا ريب ان الطوائف ظلت باقية طوال القرن التاسع عشر مابقيت الحكومة غير قادرة على احلال النظام الادارى الحديث محلها ولذلك ظل شيوخ الطوائف يتولون الاشراف على نشاط الاعضاء ومراقبة تنفيذ تعليمات الحكومة، وكانوا مسؤولين عما يقع من أخطاء أفراد طوائفهم، وظل شيوخ الطوائف حتى الربع الاخير من القرن التاسع عشر مسؤولين عن جمع الضرائب من أفراد طوائفهم وظل رأيهم يؤخذ فى الاعتبار عند فرض الضرائب حتى عام ١٨٨٠،كما أنهم ساعدوا الحكومة فى تحديد الاسعار حتى الستينات من القرن التاسع عشر[٣١].

إما بالنسبة لدور الطائفة فمخضت في أمور عديدة أهمها حماية أعضائها حيث اتخذت الطائفة عدة طرق لحماية مصالح أعضائها منها:"

١. محافظتها على مستويات أسعار السلع، بتحديد سعر مجيز لا يبيع العضو بأقل منه، عن طريق فرض سعر عادل لا مغالاة فيه والعمل على تحسين جودتها[٣٢].
٢. عقد اجتماعات أعضاء الحرفة ، والمحافظة على تماسك الهيئة وايجاد العمل لأرباب الحرفة، وتعيين الرؤساء والبحث مع السلطات بخصوص المسائل المتعلقة بالحرفة[٣٣].
٣. تحديد عدد العمال، والعمال تحت التمرين بشكل يحد من حجم الإنتاج حتى لا ينخفض الثمن، ومنعها لكثير من السكان فى الممارسة المهنية للاحتفاظ بمستويات عالية للأجور ومنع المناقشة بين الحرفيين[٣٤].

([٢٩]) صلاح هريدى، الحرف والصناعات...، ص ١٦.

([٣٠]) نفين مصطفى حسن، المصدر السابق، ص ٢٦٩.

([٣١]) صلاح هريدى، الحرف والصناعات...، ص ٣٥ .

([٣٢]) عبد السلام عبد الحليم عامر، المصدر السابق، ص٢٥ ؛ صلاح هريدي ،دراسات فى...، ص١٩٠.

([٣٣]) صلاح هريدي ، الحرف والصناعات...، ص٣٩ ؛ نفين مصطفى حسن،المصدر السابق، ص٢٦٧ .

([٣٤]) عبد السلام عبد الحليم عامر، المصدر السابق، ص٢٥-٢٦.

٤. توزيع الضرائب المفروضة على الأعضاء وكانت الحكومة تفرض ضرائب سنوية على طائفة بأكملها ويقوم الشيخ باعادة توزيعها على الأعضاء كل حسب موارده[٣٥].

٥. ويمنح الأعضاء الشهادات التي تثبت كفائتهم وتبين مقدار الأجرة اليومية الواجبة لهم، لأنه إذا أراد رجل الطائفة أن يقاول على الشغل بالقطعة فلا يجوز أن يقاول عليه بالاجور اليومية وذلك لأن يوميته كانت معلومة ومبينة فى شهادته ولا سبيل له إلى زيادتها ولا إلى تنقيصها [٣٦].

٦. وقد اختص الطائفة بفض المنازعات بين أعضائها وإقرار النظام ومعاقبة المخالفين له[٣٧]،وهنا يبرز أيضاً دور الطوائف فى المحافظة على الأمن.[٣٨]

٧. وكان الشيخ مسؤولاً عن دفع ما هو مفروض على جميع أعضاء نقابته من اتاوة أو فروة الرأس، ويعاقب من يخالف العرف والتقاليد المرعية[٣٩]، أما الأعضاء فليسوا مسؤولين شخصياً أمام الحكومة، كما أنهم بمأمن من أعمال الابتزاز التى كان من الممكن أن يعرضوا لها لو أنهم لم يكونوا أعضاء فى النقابة نتيجة لجشع موظفى الحكومة.[٤٠]

٨. وبعد أن كان لكل حرفة طائفة، ولكل طائفة شيخ، يرعى شؤون الصناع ويدافع عن مصالحهم المشتركة، فى البيئة الصناعية المحدودة الموجودة فى ذلك الوقت.[٤١]

٩. وكان نظام الطوائف يهدف كذلك إلى حماية الصانع والمستهلك على السواء، فيحقق للأول سهولة الحصول على المواد الخام ويمنع الاحتكار، ويعمل على رفع المستوى الاجتماعى للصانع، ويضمن للثاني جودة المصنوع ويحارب الغش والتدليس[٤٢].

١٠. منع العمل ليلا حتى لا يتدهور مستوى الإنتاج من جهة أو حتى لا يزيد عن الحاجة من جهة أخري فينخفض الثمن، وكذلك منعت الطوائف أصحاب الحرف من الدعاية والإعلان عن منتجاتهم[٤٣] .

١١. والنظر فى مصالح أعضاء حرفته ومنع الظلم عنهم، واعطاء الحوافز لمن يحسن أداء مهمته ومعاقبة المهمل، ويوزع الضرائب على أعضاء حرفته، وأحياناً يبالغ فى ذلك فيطالب الأعضاء بعزله وتستجيب السلطات المختصة لذلك، لإخلاله بواجباته الوظيفة، وأحياناً يكون خلو المنصب بسبب وفاته، والشروط التى يجب توافرها فيه هى الاستقامة والنزاهة والعفة والطهارة والأمانة.[٤٤]

١٢. وكانت بعض الطوائف تحرص على ايجاد اعتماد مالى للمساعدات العامة بحيث كان الأعضاء يساهمون فيه أسبوعياً أو شهرياً، ويشرف عليه شيخ الطائفة، حيث يستعمل فى الأغراض الدينية على حين كان

([٣٥]) صلاح هريدي، الحرف والصناعات...، ص٣٩ ؛ كمال حامد معث، المصدر السابق، ص ٧٨ .

([٣٦]) صالح رمضان، المصدر السابق ، ص١٩٨.

([٣٧]) نيفين مصطفي، المصدر السابق، ص٢٦٧ .

([٣٨]) صلاح هريدي، دراسات فى... ص٣٥٧.

([٣٩]) صلاح هريدي، الحرف والصناعات...، ص٤٠–٤١.

([٤٠]) صلاح هريدي، دراسات فى... ص٣٧٠.

([٤١]) جلال يحى، مصر الحديثة...،ص٢٠٠.

([٤٢]) كمال حامد مغيث، المصدر السابق، ص٧٧.

([٤٣]) عبد السلام عبد الحليم عامر، المصدر السابق، ص٢٦.

([٤٤]) صلاح هريدي ،دراسات فى...، ص١٩١.

يستعمل جزءاً آخر لمساعدة أعضاء الطوائف فى حالات المرض وما إلى ذلك من المسلمات، كما كان ينفق منه على جنازة العضو الفقير حين وفاته.[٤٥]

ثالثاً: مراحل تدرج الحرفيين (الهيكل الطائفي):

كانت الطائفة تقوم بوضع قيود وشروط لعضويتها فلم تسمح بالإنتماء إليها إلا لمن توافر فيه الشروط مثل قضاء العامل فترة من التمرين تختلف حسب كل حرفة وحسب المنطقة وغالبا ما كان العمال يبدأون تمرينهم فيما بعد سن الثامنة والعاشرة ويتم الالتحاق بخدمة صاحب الحرفة وفقا لعقد كتابى ينص على موافقة ولى الامر وتقديمه الطاعة والتمسك بالخلق الطيب فضلاً عن شروط أخرى[٤٦].

وإذا أراد شخص أن يلتحق بطائفة حرفية معينة أن يبدأ عمله كصبى لممارسة تلك الحرفة، حتى إذا ماثبت كفاءته انتظم فى سلك الطائفة كعضو عامل بها. ويبدأ السلم الوظيفى فى الحرفة الصناعية من القاعدة بالصبى وينتهى فى القمة بالشيخ الرئيسى، وفى الوسط يقف الأسطوات أو المعلمون والعريف والعمال،[٤٧] وفيما يأتي ذكر للسلك والتدرج الوظيفي للطوائف الحرفية وهي على النحو أدناه:

١- الصبى (Apprentice):

وهو يعيش عند المعلم، وعليه الطاعة والاحترام، وعلى المعلم أن يعلمه أصول حرفته ودقائقها، والمدة التى يجب أن يمكثها عند المعلم حوالى (سبع) سنوات على حسب استعداده الفطرى،[٤٨] ويلاحظ أنه لم يكن يسمح للصبى بترك معلمه الا بعد الحصول على موافقة شيخ الحرفة، والا كان من العسير عليه الحصول على عمل مناسب، ومع ذلك فلم يكن ترك المعلم إلى سواه أمر صعب المنال[٤٩].

وبعد ذلك يصبح عاملاً يستطيع أن يشتغل مقابل أجر يومى أو شهرى زهيد والأسطى أو المعلم هو الذى يشهد للصبى بتقدمه وتفوقه وبأنه أصبح أهلاً للترقية.[٥٠]وعندما يأتى الوقت الذى يشعر فيه الصبى بأنه بلغ درجة كافية من التدريب تؤهله للعمل لحسابه الخاص، كان يعرض نماذج من عمله على شيخ الحرفة.[٥١]

يقول المعلم للشيخ أن صبيه قد تعلم الصنعة أتقنها وأنه يرغب فى أن يصير معلماً و أن يمارسها فى مصنع خاص به، فيدنى الشيخ الصبى منه ويحزمه بحزام خاص عنده، وينادى به عضواً من أعضاء الطائفة.[٥٢]وكان قبول العضو الجديد بإحدى الطوائف الحرفية يتم على مراحل تبدأ كل مرحلة بحفلة معينة:

---

(٤٥) كمال حامد مغيث، المصدر السابق، ص٧٦.

(٤٦) عبد السلام عبد الحليم عامر، المصدر السابق، ص٢٧

(٤٧) نيفين مصطفى حسن، المصدر السابق، ص ٢٦٩.

(٤٨) ليلى عبد اللطيف، دراسات في تاريخ مصر والشام ابان العصر العثماني ، مكتبة الخانجي ، القاهرة، ١٩٨٠ ، ص٧٠.

(٤٩) نبيل السيد طوخى، طوائف الحرف فى مدينة القاهرة فى نصف الثانى من القرن التاسع عشر ١٨٤١- ١٨٩٠، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٩، ص ٣٠ ؛ صلاح هريدى، الحرف والصناعات... ، ص ٤٢-٤٣

(٥٠) نيفين مصطفى حسن، المصدر السابق ، ص ٢٧٠.

(٥١) محمد فهمى لهيطة، تاريخ مصر الاقتصادى فى العصور الحديثة، القاهرة، النهضة المصرية، ١٩٤٤، ص٣.

(٥٢) نيفين مصطفى حسن، المصدر السابق ، ص٢٧٠.

أ/ حفل الالتحاق: ويتم عند انضمام الصبى الى الطائفة، وفى ختامه يصبح الطفل صبيا لدى الاسطى ويبدا عادة بقراءة الفاتحة وبذلك يكون قد مر بأولى مراحل الالتحاق بالطائفة.[٥٣]

ب/ حفل العهد: كما يليه حفل آخر بعد فترة زمنية معينة يسمى حفل العهد، وفيه يلقى الاسطى بأسئلة ويجيب الصبى عنها وتدور حول ماتعلمه من أصول الحرفة، ثم يلقى عليه بعض النصائح التى تساعده فى حرفته ثم يتلو عليه القسم، وينتهى الحفل بتلاوة القران الكريم والصلاة على النبى.[٥٤]

ج/ حفل الشد: وفى النهاية مرحلة التعلم يقام حفل يسمى حفل الشد وذلك عندما يبلغ الصبى من الكفاءة ويجرى عادة فى منزل والد الصبى الذى يريد الانخراط فى سلك الطائفة، ويدخل الصبى سياج الطائفة أو مشدود حيث يمر بحفل الشد، الذى يحزم فيه بحزام الطائفة على يد النقيب بحضور الشيخ، وفى هذا الحفل يقوم المعلم الكبير باظهار تلميذه أمام شيخ الطائفة مبيناً مدى مهارته فى إتقان الصنعة، ثم يقوم الصبى بعقد حلقات مع زملائه لتصفية ما قد يكون بينه وما بين زملائه من منازعات، وبعد ذلك يعقد اجتماع كبير للطائفة تقام فيها وليمة، ويتم إفتتاح الحفل بأن يقوم كل عضو بقراءة الفاتحة ويهدى كل منه إلى الشيخ عوداً أخضر، ثم يقوم الصبى بمناشدة الحشد أن يطلبوا من الشيخ الكبير أن يستجيب له، ويلحقه بحمايته ويقبله عضواً بالطائفة.[٥٥]

٢- **العريــف** (Journeyman):

يقوم بالعمل عند المعلم وذلك نظير إيوائه واستخدامه، والعريف هو مرتبة وسط بين الصبيان والرؤساء، تتيح له نصيباً كبيراً من العائد وتيسر له إطلاعاً أوسع على أسرار الحرفة وفنونها وتقاليدها.[٥٦]ويجوز للمعلم أن يستخدم لديه أثنين أو ثلاثة من العرفاء والمدة التى يمكثها عند المعلم من سنتين الى خمس سنوات، ولايجوز للعريف أن يترك معلمه دون انقضاء المدة المذكورة، والمعلم نفسه لايجوز له ترك العريف لأى سبب.[٥٧] والعريف، الذى يحتل المكان التالى بعد المعلم، هو عامل أجير يعيش عند معلمه، ويشرف على الصناع والصبيان، ويمكنه أن يرقى بالمران والخبرة، وبعد إختبار معين، يصبح معلماً.[٥٨]

واذا أراد العريف أن يرقى الى معلم لابد له أن يتفنن ويتقن عملا، ويوافق عليه المعلمون والشيخ، وكان يعقد احتفال ثان (للشد)، ولكن هذا الاحتفال كان أقل تفصيلا، ويرشحه رئيسه لهذه المرتبة ويحصل له على تصريح من شيخ الطائفة بفتح محل مستقل له يستخدم فيه مايحتاجه من عرفاء وصبيان، وكان يعقد احتفالا يقتصر على أن يعد المرشح بمراعاة الطرق التقليدية التى جرت عليها الحرفة.[٥٩]

٣- **المعلم أو الاسطى** (Master Crafts man) :

---

(٥٣) صلاح هريدى، الحرف والصناعات... ، ص ٤٣ـ٤٤.

(٥٤) أندريه ريمون، فصول من ...،ص ١٦٢ـ١٦٣.

(٥٥) صلاح هريدي ،دراسات فى...، ص٣٧٤.

(٥٦) نيفين مصطفى حسن، المصدر السابق ، ص٢٧١ .

(٥٧) محمد فهمى لهيطة، المصدر السابق، ص٣ ؛ صلاح هريدى، الحرف والصناعات...، ص٤٥.

(٥٨)نبيل السيد طوخى، المصدر السابق، ص٣٣ ؛ جلال يحى، المصدر السابق،ص٤٩ـ٥٠.

(٥٩) عبد السلام عبد الحليم عامر، المصدر السابق، ص ٣٨–٣٩ ؛ هاملتون جب و هارولد بوون، المصدر السابق، ص١٣٨.

أما المعلم، فلا بد أن يكون ملماً بدقائق الحرفة، وينتخب المعلمون من بينهم شيخ الحرفة، او شيخ الطائفة، وكان يستخدم لديه عددا من الصبية،لايجوز التجاوز عنهم، ويعرفهم اصول المهنة واسرارها، واذا اراد أى صبى ترك معلمه لايجوز له ذلك، الا باذن من معلمه الخاص، فإنه لايستطيع الالتحاق بأى مصنع أخر إلا بعد الرجوع إلى شيخ الطائفة، واذا نشب خلاف بينه وبين صبيه لاسباب مادية، فإن الشيخ يتدخل ويلحقه بخدمة معلم آخر، واذا كان الخلاف بسبب تشاجر، فان عملية الصلح تتم بواسطة الشيخ[٦٠].وكانت العلاقة وثيقة بين المعلم ورجاله، ويشترك مع غيره من المعلمين فى إنتخاب شيخ الطائفة، الذى يشرف على أمورها ويحكم بين أفرادها.[٦١]

والمعلمون والأسطوات فقط هم الذين يسمح لهم بفتح حوانيت أو مصانع صغيرة ويصرح لكل طائفة بعدد محدود من المصانع أو الحوانيت، وفى معظم الحالات لم يكن الحانوت أو المصنع ملكاً للأسطى، بل كان يدفع إيجاراً سنويا له[٦٢].

وبعد أن كان لكل طائفة نظام ثابت، يشتمل على المعلمين والعرفاء والصبيان، ويهتم بتمرين الصبيان وترقيتهم إلى مرتبة العريف، وبتمرين العرفاء وترقيتهم إلى مرتبة المعلمين، وبعد أن كان هذا النظام يهتم بمدة التمرين، ويراقب الصناع رقابة دقيقة من الناحيتين الفنية والاجتماعية، ويخرج غير الصالحين منهم ويبعدهم عن الطائفة، وبعد أن كان هذا النظام يحول دون إستبداد أصحاب رؤوس الأموال، وإستئثارهم بأرباح الصناعة، وتسخير عمالهم لمصالحهم الذاتية بغض النظر عن مصلحة الحرفة، وضرورة رفعها إلى المستوى اللائق بها، بعد كل ذلك، أدى تدخل الحكام فى نظام الطوائف إلى التحكم فى الصناع وإدارتهم طبقاً لرغبات الحكومة التى كان كل ما يهمها هو الحصول على الأموال بكل طرق ممكنة، وبخاصة فى عصر ضعف هذه الحكومة.[٦٣]

رابعاً: مشاركة الطوائف فى المجالات الاجتماعية

وكان للطائفة وظائف متعددة، فقد كانت الوسيلة التى توفر القدر الأدنى للمواطنين فى التعبير عن غرائزهم الاجتماعية والاطمئنان إلى مكانتهم فى النظام الاجتماعى، وكانت المجال الذى يمارس فيه حق المواطنة، فهو إن لم يكن يستدعى إلا نادراً لكى يلعب أى دور فى الحياة الساسية، إلا أنه من الناحية المقابلة كان فى مأمن من أن يتدخل حكامه السياسيون فى شؤونه إلا بشكل طفيف، إذ كانوا بوجه عام يحترمون استقلال الطوائف وطرائقها التقلدية.[٦٤] لذلك، أن الطوائف ظلت باقية طوال القرن التاسع عشر، مابقيت الحكومة غير قادرة على احلال النظام الادارى الحديث وحلها ولذلك ظل شيوخ الطوائف يتولون الاشراف على نشاط الاعضاء ومراقبة تنفيذ تعليمات الحكومة.[٦٥]

وكما ساهمت الحرف والطوائف فى جميع المجالات سواء العسكرية أم السياسية أم الاقتصادية أم الاجتماعية، فاننا نجد طوائف الحرف وقد ساهمت فى الاحتفالات العامة والخاصة، فكانت كل طائفة تشترك فى المواكب العامة

([٦٠]) صلاح هريدى،الحرف والصناعات...،ص ٤٥–٤٦؛ احمد احمد الحتة، تاريخ مصر الاقتصادى فى القرن التاسع عشر،ص٣٠.

([٦١]) جلال يحى، المصدر السابق، ص٤٩ـ٥٠.

([٦٢]) نيفين مصطفى حسن، المصدر السابق ، ص ٢٧٢.

([٦٣]) انظر: محمد فهمى لهيطة، المصدر السابق، ص٣٠ـ٣١ ؛ جلال يحى، المصدر السابق، ص٢٠٠.

([٦٤]) كمال حامد مغيث، المصدر السابق، ص٧٥ـ٧٦.

([٦٥]) صلاح هريدى، الحرف والصناعات...، ص٣٥.

بعربة تحمل نموذجا من صناعاتها، وكان أبرز هذه الاحتفالات موكب المحل، ووصلة الحج والاحتفال برؤية هلال رمضان ووفاء النيل[٦٦]،كانت هناك مؤثرات للطوائف تفسر مشاركة الحى فى الحركات الشعبية قبل وبعد ١٨٠٠.[٦٧]

وكان لمعظم تلك الطوائف ارتباطات مع إحدى الطرق الدينية الكبرى، حيث كانت تلك الارتباطات الدينية تزكي صفات الأمانة التى يتفق كل المراقبين على أن يخلعوها على صاحب الحرفة المسلم، كما يعزى إليها ذلك التماسك الملحوظ الذى اتصفت به الطوائف كما وفرت الأساس الروحى والدينى لذلك الضبط الذى كانت تفرضه منظمات الحرف على أعضائها، وبرغم ما كان معه اختلافات فى الثروة بين الأعضاء فإنها ساعدت على قيام التضامن الاجتماعى وأكدت الواجب الاجتماعى.[٦٨]

وتظهر المظاهر الدينية فى طوائف الحرف فى القرن الثامن عشر فى طقوس الحفلات، التى كانت الطوائف تقيمها بمناسبة قبول أحد الاعضاء الجديد بها كصبى أولاً ثم الاحتفال بترقيته إلى أسطى أو معلم، ومن أهم المظاهر الدينية ترتيل الأدعية وقراءة القرآن[٦٩]، وبنهاية القرن الثامن عشر أصبحت تنظيمات الدراويش من القوة والنفوذ على جميع الناس، وظهر نفوذهم قويا، بل أصبح ممتزجا بالاقتصاد ومجتمع الحرفيين فى المدينة وأوامرهم الروحانية، وكانوا ـ أحياناـ يقفون ضد الطغاة والفاسدين من الحكام كما كان الجنود والرتب العالية أيضا بالاضافة الى التجار منضمين الى الطرق الصوفية[٧٠].

وكان الارتباط وثيقاً بين الدراويش وطوائف الحرف، وكانت الطرق الصوفية تستمد أساس أعضائها من طبقة الصناع والتجار، وكان معظم دراويش مصر فى ذلك العهد من التجار أو الصناع أو المزارعين، مثل، طوائف (الرفاعية – القادرية – الاحمدية- الشعراوية والشناوية)،[٧١] وقد وجد ترابط بين الحرفيين والصوفيين، وخاصة فى الحركات الشعبية، ويتضح ذلك فى العلاقة التى كانت بين الطريقة البيومية وطائفة الجزارين بحى الحسينية بالقاهرة، وبرز من الجزارين قادة الحركات الشعبية التى قامت بحى الحسينية، فى نهاية القرن الثامن عشر، كما كانت طائفتهم هى النواة التى تتجمع حولها حركات التمرد، بل كانت هناك علاقات مصاهرة بين المشايخ والجزارين، لذلك نجد أن جانبا كبيرا من أهل المدينة فى هذا العهد، قد انضموا الى الطرق الصوفية والى الطوائف[٧٢].

وحملت الصلة بين الأسطى وصبيه شبهاً تاماً من الصلة بين الدرويش ومريده، ومن هنا انبثقت عاطفة قوية بين أعضاء كل طائفة حرفية، وبهذا الانتساب الدينى من طوائف الحرف إلى الطرق الصوفية، أصبحت الطوائف قائمة على أسس أخلاقية ودينية مما سهل أن تفرض على أعضائها الشعور بالواجب تجاه صنعتهم.[٧٣]

([٦٦]) صلاح هريدى، الحرف والصناعات.. ، ص ٣٢

([٦٧]) أندريه ريمون، المصريون والفرنسيون فى القاهرة ١٧٩٨ ـ ١٨٠١، ت: بشير السباعه، عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية، ٢٠٠١، ص٥٤.

([٦٨]) كمال حامد مغيث، المصدر السابق، ص٧٦.

([٦٩]) نيفين مصطفى حسن، المرجع السابق، ص ٢٧٤.

([٧٠]) صلاح هريدى، الحرف والصناعات...، ص ٣١

([٧١]) نيفين مصطفى حسن، المرجع السابق، ص ٢٧٣–٢٧٤

([٧٢]) صلاح هريدى، الحرف والصناعات...، ص٣١ ؛ أندريه ريمون، فصول من التاريخ...،ص٢٧٧.

([٧٣]) نيفين مصطفى حسن، المصدر السابق، ص٢٧٤.

كانت لهذه النقابات صلات وثيقة بالعلماء، وبالنظم الصوفية ويقال أن بعض النقابات مارست حرفتها داخل حرم المسجد، وكانت الإجازة التى تمنح للصبى تصاغ فى قالب دينى، وغالباً ما كان العلماء وشيوخ النقابات يتقابلون، ولجأ الشيوخ مراراً إلى العلماء لطلب المساعدة حتى فى حرفتهم الخاصة.[٧٤]

خامساً: عوامل تدهور الطوائف الحرفية

على الرغم مما لعبته هذه الطوائف الحرفية دوراً مميزاً في المجتمع المصري، كما سبق الذكر، لكن تلك الطوائف أخذت تضعف بشكل تدريجى في المجتمع المصري، ولعل من أبرز عوامل تدهور هذه الطوائف هي:

١- فمنذ بداية القرن التاسع عشر كانت طوائف الحرف تعانى من الاضمحلال، نتيجة احتكار محمد علي على الصناعة، وباستخدام محمد علي لأعداد ضخمة من أعضاء الطوائف، ثم القضاء على جانب هام من البناء الطائفى، فى وقت كان فيه ذلك الانتاج مهددا بالتدهور، ونتيجة للنهضة الصناعية العالمية المتأثرة بالثورة الصناعية، ثم ادخاله لمبدأ العزل والتعين الادارى للمشايخ، وبدا تحول ذلك التدخل الى سيطرة الحكومة على الطوائف الحرفية وقيدت حريتها وحركتها، وبل وكادت تخنق تلك الطوائف[٧٥].

٢- كان الحرفيون قبل عهد محمد علي يعملون من منطلق المصلحة الخاصة (الربح) والحفاظ على مستوى الانتاج، وكانت له حرية الحركة فى شراء المواد الخام وفى تصريف انتاجه، أما بعد أن فرض محمد علي نظام الاحتكار فانه بذلك قد جعل الحرفى مجرد آلة تفكر له الحكومة وتسيطر عليه، ولا تعطيه فرصة للحركة الأمر الذى لايقضى فقط على الابتكار، وانما يؤدى الى تراجع انتاجية العامل سواء من حيث حجمه أو دقته أو من حيث المهارة الفنية.[٧٦]

٣- وعلى الرغم من عدم قيام صناعة حديثة لتنافس الحرف التقليدية، فان الحرف قد تأثرت إلى حد كبير بالتغيرات التى طرأت على عادات الاستهلاك، كما تأثرت باستيراد البضائع الاوربية إلى الأسواق بكثرة فى منتصف القرن التاسع عشر، ونتج عن اختفاء الحرف التقليدية إلى اختفاء معظم الطوائف الحرفية اليدوية.[٧٧] وقد أثرت هذه الإجراءت وغيرها، على طوائف الحرف وصغار العمال فمن المؤكد أن أوضاعهم قد تأثرت بالصناعة الحديثة التى أقامها الباشا سواء من ناحية الإنتاج الصناعي ذاته أو التحاق عدد كبير منهم بمصانع الباشا، إلا أنه من الثابت أن هذه الطبقة لم تختف تماماً بدليل وجود بقايا هذا النظام فى أواخر القرن التاسع عشر، غير أن التأثير الأهم الذي خلفته صناعة محمد علي هو أنها وقفت أمام تطور الصناعات الحرفية ولم تتح لأصحابها تراكماً رأسمالياً يسمح لهم بالإنتقال إلى مرحلة الصناعة الآلية الحديثة، وحين انهار نظام محمد علي الصناعي والتجارى، تواكب معه تدفق الرأسمالية الأجنبية فى مصر، مع ما صحبها من تغلغل لنفوذ الأجانب وتعاظم دورهم، الأمر الذي ألقى مصر فى النهاية فريسة سهلة بين أيدى حملة السندات والأسهم من دائنيها.[٧٨]

---

(٧٤) صلاح هريدى، دراسات فى...، ص٣٥٩.

(٧٥) عبد السلام عبد الحليم عامر، المرجع السابق، ص ٢٨١-٢٨٢

(٧٦) عبدالعزيز سلمان نوار، تاريخ مصر الاجتماعى منذ فجر التاريخ حتى العصر الحديث، دار الفكر العربى،مصر، ١٩٨٨، ص٢٣٩.

(٧٧) صلاح هريدى، الصعيد فى...، ص٢٤٢.

(٧٨) احمد زكريا الشلق، تطور مصر الحديثة (فصول من التاريخ السياسي والاجتماعى)، مصر العربية للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٣، ص٨٠.

٤- علاوة على ذلك فقد برز فى فترة محمد علي وحتى الحرب العالمية الأولى ازدياد المنافسة الاجنبية وتفوقها على طوائف الحرف، بل وكانت تلك الطوائف من ضعف نفوذها، حيث حرمت من بعض حقوقها، فإذا كانت بعض الإجراءات الإدارية قد سلبت الطوائف بعض مقوماتها الأساسية، وتدخل الدولة فى شؤون الحرفين بلوائحها وقراراتها لهم، بشكل جعل للطوائف فى تلك الفترة شكل ومضمونا أخر غير ماعرفت به، فمع استمرار بعض طوائف الحرف حتى الحرب العالمية الأولى، سواء لتنظيمها أو للحاجة المجتمع اليها.[٧٩]

٥- تزايد الاعتماد على الأجانب بشكل ملحوظ منذ عصر محمد علي، مما أدى إلى أزدياد تدفقهم على مصر بعد معاهدة سنة ١٨٤٠[٨٠] وأرتباط مصر باقتصاد السوق الذى وصلت ذروته فى عصر اسماعيل والذى تمخض فى نهايته عن عزله والمساهمة فى بلورة وعى سياسى نهضوى جديد مما يدفع لوقفة بحثية تتأمل نهضة الفكر الساسى وتعرجاته فى القرن التاسع عشر.[٨١]

٦- أخذ نظام الطوائف يزول شيئاً فشيئاً على أثر دخول الانظمة الحديثة أثناء الحملة الفرنسية (١٧٩٨) وماتلاها من تركز الانتاج الصناعى فى عهد محمد علي باشا فلم يكن محتسبو الوالى أولئك الذين كانوا يمارسون منصبهم تبعا لقواعد الدين والاخلاق، بل عاملوا الصناع بكل ما أوتوا من ضروب القسوة وصنوف الوحشية وأوقعوا أقصى العقوبات على كل من حاول الغش فى الموازين أو منافسة ما احتكره الباشا أو أتى عملا مخالفاً لرغبتهم.[٨٢]

٧- كان من المفروض فى مثل هذا الشكل من الاحتكار والتحكم وفى مثل تلك الأوقات من تفوق الانتاج الأجنبى وتقدمه، أن تقوم الحكومة بتنظيم حملة للتوجيه والارشاد والتدريب والتحديث وتقديم رؤوس الأموال، وهذا مالم تقم به الحكومة وانما احتكرت ما كان قائما بالفعل، لكى تحصل على الأرباح، وهو أسلوب لايثبط الهمم فقط بل كان يهوى بالدخول التى كانت ضئيلة بالفعل، فأضاف الاحتكار أسبابا جديدة لتدهور الانتاج الحرفى فى وقت كان فيه هذا الانتاج مهددا بالتدهور إن عاجلا أو آجلا بسبب النهضة الصناعية العالمية منذ انطلاقة الثورة الصناعية فى انجلترا وامتدادها لأوربا.[٨٣]

٨- الضعف التدريجى لطوائف الحرف على اختلاف شرائحهم وذلك ربما يرجع إلى سياسة الاحتكار التى حولت معظم الصناع والحرفيين الى مجرد أجراء أو بسبب ارتباط مصر بالسوق العالمية وماترتب على ذلك من عدم القدرة على منافسة الأسواق العالمية.[٨٤]

---

(٧٩) عبدالسلام عبدالحليم عامر، المصدر السابق، ص ٢٨٤-٢٨٧.

(٨٠) معاهدة اتعملت فى لندن فى سنة ١٨٤٠ بين انجلترا وروسيا والنمسا وبروسيا ودولة العثمانية لتنظيم العلاقات بين محمد على باشا والسلطان محمود الثانى وتسوية المسألة المصرية. نصت المعاهدة على منح محمد على واسرته الحكم الوراثى فى مصر بشرط ان مصر تفضل ولاية عثمانية، وان تسرى فيها المعاهدات والقوانين المعمول بيها فى الدولة العثمانية، المعاهدة حطت مصر تحت الوصاية الأوروبية وفتحت باب التدخل الاجنبى فى شؤنها.أنظر: عبدالرحمن الرافعي، عصر محمد علي، دار المعارف، القاهرة، ٢٠٠٩.

(٨١) سامى سليمان محمد السهم، التعليم والتغيير الاجتماعى فى مصر فى القرن التاسع عشر، الهيئة المصرية العامة للكتاب،مصر، ٢٠٠٠،ص١٧٨.

(٨٢) احمد ذكى بدوى، تاريخ مصر الاجتماعى، مطبعة صلاح الدين الكبرى،مصر، ١٩٩٩، ص٢٦٤.

(٨٣) عبدالعزيز سليمان نوار، المصدر السابق، ص٢٣٩.

(٨٤) ج.بيير، دراسات فى التاريخ الاجتماعى لمصر الحديثة، ت: عبدالخالق لاشين و عبدالحميد فهمى الجمال، مكتبة الحرية الحديثة، القاهرة، ١٩٧٦، ص٣٠٣ ؛ سامى سليمان محمد السهم، المصدر السابق، ص١٧٨.

الخاتمة

بعد دراسة طوائف الحرفية فى المجتمع المصرى فى عهد محمد علي باشا(١٨٠٥-١٨٤٨)، لابد لنا من وقفة نبين من خلالها اهم الاستنتاجات التي توصل اليها البحث، يمكن إيجازها بما يأتي:

- كان الحرفيون هم أهل الصناعة على مستوى ذلك العهد، وكانوا على مستوى وتواضع للغاية، وكان الحرفيون يقومون بأعمالهم فى رتابة دون تدخل من جانب الحكومة الا فيما يتعلق بجمع الضرائب والاعانات.
- ترك الحرفيون بصمات واضحة على أوضاع مصر من الجوانب الاجتماعية والاقتصادية والسياسية وعلى جوانب آخرى تمس بالمجتمع المصرى.
- وكانت الصناعة السائدة فى مصر فى هذا العهد هى الصناعة اليدوية واعتمد على الأسواق المحلية كما قامت أساساً على نظام الحرف والطوائف، وربطت بين أهل الحرف صلات اجتماعية وثيقة، ووحدة اقتصادية متميزة وسادها التضامن فى السراء والضراء ومارسوا قدراً من الحرية ولونا من الحكم الذاتي فى نطاق مهنتهم أو حرفتهم.
- كانت الطائفة المهنية عنصراً أساسياً فى الحياة المدنية فقد كانت تمثل بالنسبة للسلطات اطارا يمكنها من الإشراف على معظم الشعب العامل بالمدينة من صناع وتجار، وكان إشراف الدولة على هذه الحرف يتلخص فى جمع الضرائب منها، دون التدخل فى نواحى الانتاج الفنية.
- إن دور الطائفة كانت فى أمور عديدة أهمها حماية أعضائها حيث اتخذت الطائفة عدة طرف لحماية مصالح أعضائها.
- وإذا أراد شخص أن يلتحق بطائفة حرفية معينة أن يبدأ عمله كصبى لممارسة تلك الحرفة، حتى إذا ماثبت كفاءته انتظم فى سلك الطائفة كعضو عامل بها. ويبدأ السلم الوظيفى فى الحرف الصناعية من القاعدة بالصبى وينتهى فى القمة بالشيخ الرئيسى، وفى الوسط يقف الأسطوات أو المعلمون والعريف والعمال.
- بدا الضعف التدريجى داخل الطوائف الحرفية على اختلاف شرائحها، ويعود ذلك إلى سياسة الاحتكار التى حوات معظم الصناع والحرفيين الى مجرد اجراء وذلك لسيطرة محمد علي باشا على هذا القطاع أو بسبب ارتباط مصر بالسوق العالمية وماترتب على ذلك من عدم القدرة على منافسة الأسواق العالمية.

المصادر

(١) احمد احمد الحتة، تاريخ مصر الاقتصادى فى القرن التاسع عشر، القاهرة،مكتبة النهضة المصرية،ط٣، ١٩٥٨.

(٢) احمد زكريا الشلق، تطور مصر الحديثة (فصول من التاريخ السياسي والاجتماعى)، مصر العربية للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٣.

(٣) احمد ذكى بدوى، تاريخ مصر الاجتماعى، مطبعة صلاح الدين الكبرى، ١٩٩٩.

(٤) اندريه ريمون، فصول من التاريخ الاجتماعى للقاهرة العثمانية، ترجمة: زهير الشايب، مكتبة مدبولى،١٩٧٤.

(٥) أندريه ريمون، المصريون والفرنسيون فى القاهرة ١٧٩٨ ـ ١٨٠١، ت: بشير السباعه، عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية، ط١، ٢٠٠١.

(٦) ج.بيير، دراسات فى التاريخ الاجتماعى لمصر الحديثة، ت: عبدالخالق لاشين و عبدالحميد فهمى الجمال، مكتبة الحرية الحديثة، القاهرة، ١٩٧٦.

(٧) د. جلال يحيى، مصر الحديثة (١٥١٧-١٨٠٥) منشأة معارف بالاسكندرية، ١٩٦٩.

(٨) سامى سليمان محمد السهم، التعليم والتغيير الاجتماعى فى مصر فى القرن التاسع عشر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٠.

(٩) د. صلاح احمد هريدى، الحرف والصناعات فى عهد محمد على، تقديم د: عمر عبد العزيز عمر، دار المعارف، ١٩٨٥.

(١٠) د. صلاح احمد هريدى، دراسات فى تاريخ مصر الحديث والمعاصر (١٥١٧-١٨٨٢)، د.ط، ١٩٩٧.

(١١) د. صلاح أحمد هريدى على، الصعيد فى العصر العثمانى (٩٢٣-١٢١٣هـ/ ١٥١٧-١٧٩٨)، تقديم : د. عمر عبد العزيز عمر، ط١، ٢٠٠٦.

(١٢) د. صالح رمضان، الحياة الاجتماعية فى مصر فى عصر اسماعيل من ١٨٦٣-١٨٧٩، منشأة معارف بالاسكندرية، ١٩٧٧.

(١٣) عبدالرحمن الرافعي، عصر محمد علي، دار المعارف، القاهرة، ٢٠٠٩.

(١٤) د. عبد السلام عبد الحليم عامر، طوائف الحرف فى مصر ١٨٠٥-١٩١٤، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٣.

(١٥) عبدالعزيز سلمان نوار، تاريخ مصر الاجتماعى منذ فجر التاريخ حتى العصر الحديث، دار الفكر العربى، ١٩٨٨.

(١٦) عبدالمنعم فوزى، مذكرات فى تطور مصر الاقتصادى والمالى فى العصر الحديث،مؤسسة المطبوعات الحديثة، الاسكندرية،١٩٦١.

(١٧) د. كمال حامد مغيث، مصر فى العصر العثمانى ١٥١٧ – ١٧٩٨، المجتمع.. والتعلم، تقديم : د. رؤوف عباس، الطبعة الاولى، مركز الدراسات والمعلومات القانونية الحقوق الانسان، ١٩٩٧.

(١٨) ليلى عبد اللطيف ، دراسات في تاريخ مصر والشام ابان العصر العثماني ، مكتبة الخانجي ، القاهرة، ١٩٨٠.

(١٩) محمد فهمى لهيطة، تاريخ مصر الاقتصادى فى العصور الحديثة، القاهرة، النهضة المصرية، ١٩٤٤.

(٢٠) نبيل السيد طوخى، طوائف الحرف فى مدينة القاهرة فى نصف الثانى من القرن التاسع عشر ١٨٤١-١٨٩٠، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٩.

(٢١) د. نيفين مصطفى حسن، رشيد فى العصر العثمانى (دراسة تاريخية وثائقية) مراجعة وتقديم د. محمد محمود السروجى، دار الثقافة العلمية، ١٩٩٩.

(٢٢) هاملتون جب و هارولد بوون، المجتمع الاسلامى والغرب، ت: أحمد عبدالرحيم مصطفى و مصطفى الحسينى،ج٢، الهيئة المصرية العامة للكتاب،١٩٩٦.

پوختە

لەبەر ئەوەی هەموو کۆمەڵگایەك و قۆناغێکی مێژوویی بارودۆخی تایبەتی خۆی هەیەو دەشبێتە هۆی دەرکەوتنی تۆێژگەلێکی جۆراو جۆر کە گەشەکردن و فراوان بوون و گۆڕانکاری تیایاندا بەبنەماو پێوەری تایبەتی بارودۆخەکە پەیوەستە، پیشەش کە خۆی بریتی یە لەچالاکی و کارێك کە تاکەکان کاری تیا دەکەن و لە میانەیدا ئامانجی زیندەکی و دەستکەوتە ماددی و مەعنەوی و کۆمەڵایەتیەکان بەدی دێنن و پێوەرێکی بابەتی گرنگیشە بۆ دیاریکردنی پێگەو چینی کۆمەڵایەتی تاك و ئاماژەکردن بە جیاوازی چینایەتی نێوانیان و نێوان ئەو کۆمەڵانەی لێیان پێکدێت، پێگەو ڕۆڵیان بە پێی سەردەم لە شوێنێکەوە بۆ شوێنێکی تر دەگۆڕێت. لەبەر ئەوەش سەردەمی محمد علی بۆ کۆمەڵگای میسری سەردەمێکی مێژوویی گرنگەو دەشزانین کە لێکۆڵینەوە لەوەها کۆمەڵگایەك بەبێ گرنگیدان بە پیشە جۆراو جۆرەکان و پەیوەندی نێوخۆیی نێوانیان و پەیوەندیان بە کۆمەڵگاو چۆنیەتی مامەڵەکردنی دەسەلآت لەگەڵیاندا ناتەواو دەبێت، بەتایبەتیش کە دەزانین لەو سەردەمەدا کۆمەڵگا دابەشی چەندین پیشەی جۆراو جۆرو خودان کارو ڕێبازی تایبەت ببوو و (محمد علی) یش سیاسەتێکی جیاوازی پیشەسازی پەیرەو کردوە، کە کاریگەری لەسەر چۆنیەتی کارکردنیان هەبووەو لەکۆتایی دەسەلآتیشدا بەرەو لاوازی چوون، هەڵبژاردنی بابەتێك بەناونیشانی کۆمەڵەی پیشەوەرانی کۆمەڵگای میسری لەسەردەمی محمد علی دا (١٨٠٥ ـ ١٨٤٨) بۆ ئەم تۆێژینەوەیە کرایە جێی مەبەست و بەپەسەند زانرا.

تۆێژینەوەکە جگە لە پێشەکی و دەرەنجام و پوختەیەك بە زمانی کوردی و ئینگلیزی لە پێنج باسی سەرەکی پێکهاتوەو بەم شێوەیەی خوارەوە ڕێکخراوە:لە باسی یەکەمدا سیستەمی کۆمەڵەی پیشەوەران و باسی دووەمیش بۆ ڕۆڵی ڕێکخستنە کۆمەڵایەتیەکانی پیشەوەران تەرخانکراوە، لە باسی سێیەمدا قۆناغەکانی پێگەیشتنی پیشەوەران و باسی چوارەمیش بۆ بەشداریان لەبوارە کۆمەڵایەتیەکان تەرخانکراوە، دوا باسیش تایبەتە بەهۆکارەکانی شکستهێنان و کەوتنی پیشەکان.

Abstract

Every society has its unique historical phase which later causes the emergence of various classes in the society. The development and change in these different social classes are linked to specific principles and measures. Profession which is defined as the activities and careers that individuals perform for the sake of financial, societal, and spiritual benefit. Also, it is a subjective measure in determining the social class of individuals among the society they belong to which is different from time to time and from one place to another. Therefore, the era of Mohammed Ali for the Egyptian society is particularly important. It is obvious that conducting research on such as a vital society is never complete without paying attention to different professions, the relation between them, and the treatment of authority with them. In that era society was divided into various professions, Mohammed Ali had a different industrial policy that had influence on the way people worked. The topic chosen for this paper is the association of professions in the Egyptian society in the era of Mohammed Ali (1805-1848).

The organization of this paper includes: introduction, conclusion, abstract, and five sections. In the first section, the system of association of professions is discussed, the second section is dedicated to explain the role of social organization of professionals, the third section explains development phases of professionals, the fourth section is dedicated to their participation in socials aspects, and the final section explain the reasons of failure and collapse of professions.